

## رعوف عباس طراز فريد من الأساتذة الكبار

1 يوليو 2008

د. عبد المنعم الجمعي

في صباح الخميس الماضي (2008/6/26) فقدت المدرسة التاريخية المصرية أحد رموزها الكبار الدكتور رعوف عباس حامد هذا التركيب الفريد من البشر الذي يجمع بين عناصره مزايًا وخصالاً فريدة منها الإيمان بالعمل وإعلاء قيمة العقل ، ووطنية المؤرخ واستقامة القصد والمنهج ، والتصدي للهيمنة على تاريخ مصر الوطني.

### الاهتمام بالكادحين

ولد رعوف عباس في بورسعيد في 24 أغسطس 1939 وحصل على ليسانس الآداب من قسم التاريخ بجامعة عين شمس عام 1961 وعلى الماجستير في نوفمبر 1966، وعلى الدكتوراة في يناير 1971، وعمل في حقل التدريس الجامعي منذ تعيينه معيداً بأداب القاهرة في عام 1967 ثم تدرج في المناصب العلمية حتى وصل إلى درجة الأستاذية في عام 1981. ويرجع اهتمام رعوف عباس بالبحث في تاريخ البناء الاجتماعي لمصر الحديثة إلى أنه نشأ في أسرة كادحة ، فكان والده موظفاً صغيراً بالسكة الحديد ، وإلى جانب ذلك فقد تأثر بجو الستينات من القرن الماضي خاصة أنه عمل فترة بإحدى الشركات في كفر الزيات خلال فترة عمله بالماجستير ، وأحس بالعمال ومشاكلهم وأمالهم لذلك تركزت كتاباته عن الحركة العمالية ، والملكيات الزراعية الكبيرة وأثرها في المجتمع المصري ، والدفاع عن الطبقة الكادحة.

إن الحديث عن رعوف عباس يعني الحديث عن طراز فريد من الأساتذة الكبار ، فقد تسليح بالعلم منهجاً والجديّة والخلاص خلقاً ، كل من يقترب منه يكتشف فيه بحراً من العلم والمعرفة الواسعة وطاقة هائلة من طاقات التنوير ، كما يجد فيه التمسك بالقيم والتقاليد الجامعية الرصينة لذلك أكبر فيه طلابه ومريدوه احترامه للعلم ، وحبّه وإخلاصه للعمل ، وتفانيه في خدمة الغير . كان لا يعرف الالتفاف أو المداورة ، ويكره المهاترات ، ويعبر عما يجيش في صدره دون مواربة، كان صاحب رأي شجاع في الحق غير أبه بما يحدث بعد ذلك ، فإذا اقتنع بشيء دافع عنه دفاع الفرسان . يسعى لخدمة الناس وقضاء حاجاتهم ، فعندما يلجأ إليه من تشدّد به المحن يجد عنده البلسم الشافي . يواجه الفساد في أي موقع بكل قوة ، يكره النفاق لا يمالئ ولا يراهن بل يقاوم كل ذلك العفن ويواجهه، يصون فكره من الامتهان . كان كالدوحة الوارفة التي يستظل بها كل طالب علم يجتهد من أجل تكوين نفسه بشكل سليم.

### مشكاة العلم

لقد كان رعوف عباس مثلاً للوفاء النادر ، يشعر بالآلام الآخرين ومتاعبهم يتأثر بها ويشارك فيها، ويظل مهموماً بمشاكل البسطاء من الناس يقف بجانبهم ، ويهش لرؤيتهم في تواضع شديد وكان اهتمامه بهم يبلغ حد الشغف ، وكأنه درس التاريخ ليتقصى مشاكل الناس، ويشاركهم في متاعبهم ، ويحاول إيجاد مخرج لها ، لقد استطاع رعوف عباس تكوين جيل من الباحثين في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي تتلمذوا على يديه واقتبسوا من مشكاة علمه ، وتبنى موهبتهم ورعايتها . إلى جانب ذلك له العديد من المؤلفات الرائدة ذات القيمة الباقية التي تتميز بالعمق والأصالة . لقد استطاع رعوف عباس أن يترك بصمة في كل موقع شغله فترك مدرسة متميزة في التاريخ الحديث بأداب القاهرة . وعندما تولى منصب وكالة الكلية للدراسات العليا، وضع الدراسات العليا بالكلية في نصابها الصحيح حتى أصبحت مثلاً يحتذى به في الجامعات المصرية.

وبعدما تولى رئاسة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية سعى بكل جهد وإخلاص لإقالتها من عثراتها والوصول بها إلى بر الأمان بعد أن تعرضت للإفلاس والطرّد ، وتركت في مهب الرياح ، ولم يطمئن قلبه حتى استقر بها المقام في مكانها الحالي الذي يليق بمكانتها كمنارة مصرية ثقافية جديرة باسمها . إلى جانب ذلك للدكتور رعوف عباس يعد مثلاً للوفاء النادر لأساتذته ، فقد ظل وفياً لأستاذه المرحوم أحمد عزت عبد الكريم

بعد وفاته فأنشأ له جائزة باسمه في كلية الآداب جامعة القاهرة تمنح لأحسن طالب بقسم التاريخ كل عام بعد أن وضع وديعة بمبلغ خمسة آلاف جنيه من جيبه الخاص للصرف من ريعها على الجائزة ، كما طالب بإنشاء جائزة للجمعية التاريخية للدكتور عزت عبد الكريم أيضاً وفاء وتقديراً لجهوده في تطوير الجمعية التاريخية ووافقت الجمعية العمومية على ذلك مما أعطى القدوة والمثل في تكريم الشوامخ ، وفي الوفاء لأساتذته الذين أفنوا أعمارهم في سبيل العلم والبحث عن الحقيقة.

وهكذا كان رءوف عباس ظاهرة مضيئة في حياتنا العلمية التي حاول أن يرتفع بها فوق البيئة الثقافية الجذباء ، التي حاولت أن تعشش على حياتنا العلمية ، فكان كالدوحة الوارفة التي يستظل بها طلاب العلم والمعرفة. إن الخطب فادح والمصاب كبير ، ولكن عزائنا الوحيد هو أن رءوف عباس إذا كان قد غادرنا بجسده ، فقد ترك لنا إسهاماته الجادة التي ستبقى بعد رحيله تنير الدرب للسائرين على منواله ، والمتابعين في عزم وثبات كل الخطى التي رسمها ، وسبقي رءوف عباس في الذاكرة تجسيدا للعمل الجاد الذي سيظل صدها ناقوساً يدق في العقل والقلب. فالى روحه الطاهرة في دار الأبدية أبعث إليها بتحيات الاحترام والتقدير التي يرسلها القلب ، وتفيض بها المشاعر ، ويحملها الرجاء إلى عالم الأرواح . فيا نفس رءوف اسكني إلى جوار ربك راضية مرضية ويا روح رءوف سلام وريحان وجنة نعيم وإنا لله وإنا إليه راجعون.